بصانع موصوف بصفات الكمال منزه عن النقصان وهو صارف قوي عن الكفر وصدور الفعل عن القادر مع الصارف القوي مظنة تعجيب وتوبيخ وفيه إيذان بأن كفرهم عن عناد وهو أبلغ في الذم وفيه من المبالغة أيضا ما ليس في أتكفرون لأن الإنكار الذي هو نفى قد توجه للحال التي لا تنفك ويلزم من نفيها نفى صاحبها بطريق البرهان وإن شئت عممت الحال وإنكار أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها مع أن كل موجود يجب أن يكون وجوده على حال من الأحوال يستدعي إنكار وجود الكفر بذلك الطريق ولا يرد أن الإستخبار محال على اللطيف الخبير عز شأنه لأنه إما أن يكون بمعنى طلب الخبر فلا نسلم المحالية إذ قد يكون لتنبيه المخاطب وتوبيخه ولا يقتضي جهل المستخبر ولا يلزم من ضم الإنكار والتعجيب إليه وهما من المعاني المجازية للإستفهام الجمع بين الحقيقة والمجاز إن كان الإستخبار حقيقة للصيغة وبين معنيين مجازيين إن كان مجازا لأن الإنفهام بطريق الإستتباع واللزوم لا من حاق الوسط أو أنه تجوز على تجوز لشهرة الإستفهام في معنى الإستخبار حتى كأنه حقيقة فيه وإما أن يكون بمعنى الإستفهام فنقول لا قدح في صدوره ممن يعلم المستفهم عنه لأنه كما في الإتقان طلب الفهم أما فهم المستفهم وهو محال عليه تعالى أو وقوع فهمه ممن لا يفهم كائنا من كان ولا استحالة فيه منه تعالى وكذا لا استحالة في وقوع التعجيب منه تعالى بل قالوا إذا ورد التعجب من ا جل وعلا لم يلزم محذور إذ يصرف إلى المخاطب أو يراد غايته أو يرجع إلى مذهب السلف وأتى سبحانه بتكفرون ولم يأت بالماضي وإن كان الكفر قد وقع منهم لأن الذي أنكر الدوام والمضارع هو المشعر به ولئلا يكون في الكلام توبيخ لمن وقع منه الكفر ممن آمن كأكثر الصحابة رضي ا تعالى عنهم .

وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون 28 ما قبل ثم حال من ضمير تكفرون بتقدير قد لا محالة خلافا لمن وهم فيه والمعنى كيف تكفرون وقد خلقكم فعبر عن الخلق بذلك ولما كان مركوزا في الطباع ومخلوقا في العقول أن لا خالق إلا ا كانت حالا تقتضي أن لا تجامع الكفر والجمل بعد مستأنفة لا تعلق لها بالحال ولذا غايرت ما قبلها بالحرف والصيغة ولك أن تجعل جميع الجمل مندرجة في الحال وهو في الحقيقة العلم بالقصة كأنه قيل كيف تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة وبأولها وآخرها فلا يضر اشتمالها على ماض ومستقبل وكلاهما لا يصح أن يقع حالا ورجح هذا جمع محققون والحياة قوة تتبع الإعتدال النوعي ويفيض منها سائر القوى وقيل القوة الحساسة والعضو المفلوج حي وإلا لتسارع إليه الفساد وعدم الاحساس بالفعل لا يدل على عدم القوة لجواز فقدان الأثر لمانع وكأنهم أرادوا من ذلك

قوة اللمس لأن مغايرة الحياة لما عداه من الحواس ظاهرة فإنها مختصة بعضو دون عضو وأنها مفقودة في بعض أنواع الحيوانات وأنه يلزم تعدد الحياة بالنوع في شخص واحد إن قيل بكون الحياة كل واحد منها وتركبها في الخارج إن أريد مجموعها وتطلق مجازا على القوة النامية لأنها من طلائعها ومقدماتها وعلى ما يخص الإنسان من الفضائل كالعقل والعلم والإيمان من حيث أنها كمالها وغايتها والموت مقابل لها في كل مرتبة والكل في كتاب ا تعالى وحياته سبحانه وتعالى صحة اتصافه جل شأنه بالعلم والقدرة أو معنى قائم بذاته تعالى يقتضي ذلك وأين التراب من رب الأرباب ثم إن للناس في المراد بما في الآية الكريمة أقوالا شتى والمروي عن ابن عباس وابن مسعود